

ثنائية الشعر والسحر في عيون النقاد المغاربة القدامى

The Poetry-Magic Binary in the Eyes of Classical Maghrebi Critics

كلثوم مدقن

أم كلثوم دربالي*

جامعة قاصدي مرباح – ورقلة (الجزائر) جامعة قاصدي مرباح – ورقلة (الجزائر)

medakene.keltoum@univ-ouargla dzderbali.oumkelthoum@univ-ouargla.dz

مخبر النقد ومصطلحاته

تاريخ القبول: 2026/06/10	تاريخ التقييم: 2026/04/30	تاريخ الارسال: 2026/02/17
--------------------------	---------------------------	---------------------------

الملخص

تعتبر العلاقة بين الشعر والسحر علاقة تكاملية وثيقة، إذ لطالما أرتبط الشعر بالسحر، وحدث بينهما تقاطع وتفاعل عبر العصور وضمن حضارات وثقافات مختلفة. لهذا تهدف هذه الورقة البحثية إلى رصد جوانب التلاقي بينهما وفي إطار النقد المغربي القديم وبعيون النقاد المغاربة انطلاقاً من فهم طبيعة العلاقة بينهما على الصعيد المفهومي، أو من حيث التتبع التاريخي لجذور العلاقة ومن خلال فهم الآراء النقدية التي صيغت حول هذه العلاقة.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في فهم أبعاد هذا التلاقي وقراءة جوانبه وخلفيات، وتأثيره على الساحة النقدية عامة والنقد المغربي القديم بصفة خاصة. الكلمات المفتاحية: شعر؛ سحر؛ أسطورة؛ إلهام؛ خيال؛ إبداع.

Abstract:

The relationship between poetry and magic is considered as a close and complementary one. Poetry has long been associated with magic, and the two have intersected and interacted across different eras, civilizations, and cultural contexts.

Accordingly, this research paper seeks to examine the points of convergence between poetry and magic within the framework of classical Maghrebi criticism, as viewed through the perspectives of Maghrebi critics. It proceeds from an understanding of the conceptual nature of their relationship, traces its historical

roots, and analyzes the critical opinions that have been formulated regarding this connection.

The significance of this study lies in its attempt to understand the dimensions of this convergence, to interpret its aspects and underlying contexts, and to assess its impact on the broader critical field in general and on classical Maghrebi criticism in particular.

Keywords: Poetry; Magic; Myth; Inspiration; Imagination; Creativity.

*المؤلف المراسل:

1- مقدمة:

إن العلاقة القائمة بين (الشعر والسحر) تشكل في مجال النقد ثنائية فريدة تحقّق الباحثين على محاولة قراءة خيوطها وفهم أبعادها واستقراء جوانبها، فغالبا ما كان ينظر للسحر أنه فن كلامي يشبه الشعر، ويرون أن الشعر يملك طاقة سحرية من خلال التأثير والبلاغة.

لهذا تهدف هذه الدراسة إلى رصد حدود هذا التلاقي بينهما ضمن المجال النقدي من خلال آراء النقاد المشاركة والمغاربة القدامى. ومنه نطرح هذه التساؤلات الآتية: ما هو مفهوم الشعر والسحر وما الصلة بينهما؟ كيف كانت جذور هذه العلاقة تاريخيا؟ وما هي تجليات العلاقة في عيون النقد المغربي القديم؟.

2- ثنائية السحر والشعر في عيون النقاد المغاربة:

2 - 1 - مفهوم السحر:

أ - لغة:

جاء في مادة (سحر) في لسان العرب لابن منظور: >> السَّحَرُ عمل تُقَرَّب فيه إلى الشيطان والاستعانة به، ففي السَّحَر ما يخدع العين، فيجعل الأمر يظهر على غير حقيقته، كما أنه يحمل معنى ما لطف وامتلك الدقة. والجمع أسْحارٌ وسُحُور، وسَحَرَهُ يَسْحَرُهُ سَحْرًا ويقال رجل ساحر من قوم سحرة أي صرف الناس عن الحقيقة واهمهم >>¹. فابن منظور يرى أن السحر يجعل الإنسان يرى الشيء على غير حقيقته ولكنه يخيّل له الأمر بخلاف أصله.

وذكر ابن منظور أصل السحر: >>>> صرف الشيء عن حقيقته إلى غير حقيقته عن وجهه تعالى. (فأَنَّى تُسَحَّرُونَ)، معناه كيف تُصرفون عن الحق وتدافعون عن الباطل، وقال يُونس: تقول العرب للرجل ما سَحَرَك عن وجهه كذا وكذا ؟ أي ما صرفك وعدل بك عنه >>². أي السَّحَر يظهر البال في ثوب الحق ويجعل الإنسان لا يميّز بينهما.

كما أنه يحمل معنى التضليل والتمويه من خلال القول (ما لطف مأخذه، ودقّ). ما لطف مأخذه، ودقّ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: >> إِنَّ من البيان لسحراً >>³. وسَحَرهُ أي خدعه، ومنه قول الله تعالى: >> قالوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ >>⁴؛ أي المخدوعين. وقد عرفه (الرازي) بما هو تخيل فقال: >> أعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع، مختص بكل أمر خفي سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى والتمويه والخدع، قال تعالى: (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ) >>⁵.

ب - اصطلاحاً:

أما السحر من حيث الاصطلاح فقد اختلف العلماء والفقهاء في تعريفه اختلافاً واسعاً ومن ذلك تعريف (البيضاوي): >> المراد بالسَّحَر ما ينشأ من الاستعانة من الشيطان وذلك عائد للشرّ وخَبَث النفس >>⁶.

وعرف بأنه العمل الذي يقوم به الساحر إذ أنه يتخذ: >> عَقْدٌ ورُقَى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشر له >>⁷. وخلاصة القول أَنَّ السَّحَر في الأغلب رُقَى وطلاسم يُتبع فيها الشيطان ينتج عنها حصول ملكة نفسية، ويتم بطرق خفية، وتكتسب عن طريق التعلم، تصدر عن نفوس خبيثة تحاول أن يكون لها تأثير في الأبدان والمشاعر والأقدار، من خلال القول أو الكتابة أو الرمز.

2-2 مفهوم الشعر:

أ - لغة:

جاء في مادة (شعر) في لسان العرب لابن منظور: >> أنه العلم والفطنة، والإدراك، والاطلاع، والإعلام، والدراية >>⁸؛ أي أن الشعر مرادف للفطنة والعلم والإدراك، والشاعر قد يسمى شاعراً >> لفطنته ودقة معرفته. قالوا: والدليل على ذلك قول عنترة: هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم >>⁹

ونفس المعنى أقره (الأزهرى) بقوله: >> وقائله شاعر: لأنه يشعر ما لا يشعر غيره، أي يعلم >>¹⁰، لهذا فالتصور اللغوي لكلمة (شعر) تتركز على فكرة الإدراك وعمق الفهم،

والشاعر ليس مجرد ناظم وقائل فحسب بل يحمل وعيا معرفيا إلى جانب موهبته وملكته الشعرية.

ب - اصطلاحا:

تنوعت التعريفات التي تحدد مفهوم الشعر وجوهره، ولكن أغلبها تصب في بوتقة واحدة، تركز على اعتماده الفكرة إلى جانب العاطفة والوزن. ومن ذلك تعريف (قدامة بن جعفر) على أنه: << قول موزون مقفى يدل على معنى >>¹¹، وقد عرفه (ابن طباطبا) من خلال التفريق بينه وبين النثر قائلا: << كلام منظوم بائن عن المنثور يتخذ لمخاطبة الناس، ويستفاد من النظم الذي يسير في خط معلوم ومحدود وإذا عدل عنه فسد ذوقه ... >>¹²، وهو بهذا التعريف حدد الشروط التي يتوفر عليها الشعر: من الذوق، والديباجة والمعاني المستوفاة، والوزن وغيرها.

3 - تجليات التلاقي بين الشعر والسحر تاريخيا:

ربط القدماء الشعر في أطوار حياتهم الأولى بقوى غيبية، ومن ذلك قدماء اليونان، فقد كانوا يعتقدون أن هناك آلهة تُلهم الشعراء وتمدهم بالوحي، والشاعر اليوناني ليس مصدر الابداع والالهام في نظر الناس، بل أنه يوحي له دون أن يفهم حتى ما ينهمر عليه من أفكار، فهو في نظرهم يشبه: << القديسين أو المتنبئين الذين ينطقون بالآيات الرائعات، وهم لا يفقهون معناها >>¹³.

وقد حظيت هذه البيئة بتمجيد أشخاص سميوا بالقديسين، وكانت لديهم قدرات سحرية كلامية وحسية، << فيصبح القديسون عن طريق الكلمة قادرين على كل شيء، بحيث يعيدون الموتى بمجرد نداءهم، وكأن هناك في خدمتهم شياطين خيرة وأخرى شريرة، وتتحدث الأساطير الشعبية عن مثل هؤلاء السحرة الذين كانوا على صلة بقوى تمثل الخير أو تمثل الشر >>¹⁴.

ومن أسماء آلهة الشعر عندهم: (أبولو) (Apollo)، (أفرديت) (Aphrodite)، (بوسايدون) (Poseidon)، (أريس) (Ares)، (ديونيسوس) (Dionysus)، كما أن هناك تسع ربّات للفنون من بنات (زيوس) (Zeus)، وهن يحمين ويلهمن الفن والشعر والموسيقى. ويؤكد (موشغ) (Muschg) هذه الفكرة مفسرا جذور تلاقي السحر مع الأدب والشعر من خلال ذكره << أن الأدب يبتدئ بتعويذتين تعتبران وحيدتين في الأشعار الوثنية في اللغة الألمانية >>¹⁵، وهو بذلك يؤكد أن الشعر في ذلك الوقت كان خادما لسحر تابعا له، وهو ما جعل الشعر يرتبط بالأساطير، أو يمكن القول << أن الشعر في هذه العصور كانت لديه

أصول أسطورية ترتبط بالكهانة والعرافة واستحضار الأرواح والغيبية. وليس بعيد عن هذا المعنى ما تجده في تاريخ العلاقة بين السحر والشعر عند العرب، فقد ذكر المستشرق (مارجليوت) (Margoliouth) (أن الشعر ارتبط بأصول غيبية، وأنيطت به وظيفة ذات بعد كهنوتي غيبي لدى القدماء، ولغته بدت غامضة أقرب إلى طلاس الكهان وأحجية السحرة وتعويذاتهم >>¹⁶؛ أي أنه قبل ظهور الإسلام وقبل نزول القرآن كان عند العرب نوع من العرافين يستخدمون النبوات يسمونهم بالشعراء، وكان لكل شاعر شيطانه، أو الذي يلمه، فالساحر والشاعر كانت لدهما نفس القدرات، ونفس العلم ونفس المصادر، فكلاهما >> أي الشاعر والساحر يعتمد على مصدر خفي وإلهام بعيد >>¹⁷.

وقد تحدث (أبو زيد القرشي) عن هذه الفكرة التي رسخت في أذهان العرب مبرزاً قوة شعر الجن وفحولهم >> ويدعون أن لكل فحل منهم شيطان يقول الشعر على لسانه، فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود >>¹⁸، وقد أورد القرشي الشعراء وشياطينهم وذكر منهم (امرئ القيس، والأعشى، وعبيد بن الأبرص، والناطقة الذبياني) وغيرهم، وذكر أنهم كانوا يتلقون الشعر من الجن في وادي عبقر.

وتزعم العرب أن هذا الواد من أرض الجن، وذكرت بعض الكتب على سبيل المثال: أن (بشر بن أبي خازم الأسدي) و(هادر بن ماهر) قرين (الناطقة الذبياني)، و(لافظ بن لاحظ) قرين (امرئ القيس) و(هبيل بن الصلادم) قرين (عبيد بن الأبرص)، و(مسحل السكران) بن (جندل قرين الأعشى).

واستمر اقتتان الشعر بالسحر حتى بعد بزوغ فجر الإسلام ونزول القرآن الكريم، إذ في بعض الآيات القرآنية ما تضمن الشعر بالسحر والجنون ومن ذلك قول الله تعالى: (ويقولون أننا لتاركوا آلِهتنا لشاعر مجنون) (سورة الأنعام، الآية 112)، كما أنه بعض الأحاديث المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ما وجد فيه بعض الدارسين اعتراف واضح منه بقوة الكلمة وسحرها وتأثيرها في النفوس.

إذ يقول صلى الله عليه وسلم: >> إنَّ من البيان سحرًا وإن من الشعر حكمة >>¹⁹، وعلى الرغم من اتفاق هؤلاء العلماء على صحة هذا الحديث وعلى مناسبة قول الحديث لكنهم اختلفوا في تفسيره: هل كان قول الرسول صلى الله عليه وسلم علة وجه المدح، أم على قصد الذم، هل كان يمدح وقع الشعر الجميل وبلاغته أم يذمه ويعتبره مثل السحر يقلب الحق باطلاً والباطل حقاً، ولعل ما يؤيد فكرة مدح الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر: هو

خلعه لبردته الشريفة على كعب بن مالك الذي أنشد بين يديه لاميته المشهورة (بانث سعاد)
تكريما وإجازة له على حسن بلاغته وقوة معانيه.

ولهذا فهناك من العلماء من سعى الشعر الحسن الذي يحمل معنى نافعا بالسحر
الحلال، وقد اعترف الرسول صلى الله عليه وسلم بقيمة الشعراء ورفعهم عنده واعتبرهم
جندا للإسلام يصدون هجمات الكفار والمتردين، ومن أمثال ذلك (حسان بن ثابت، عبد الله
بن رباح، وكعب بن مالك).

واستمرت هذه العلاقة القائمة بين (السحر والشعر) في العصر الأموي والعباسي،
إذ ظل بعض الشعراء يحملون تخیلات ويمارسون طقوسا خاصة وقديمة، خصوصا في عملية
استحضار الشعر ونزول الإلهام الشعري، >> فكما عرف عن السحرة استعدادهم للعمل
السحري بلبسهم المسوح وتوضؤهم باللبن وظهورهم قبيل عملهم بمظهر خاص، كذلك أثر
عن الشعراء القدامى، فالشاعر إذا أراد إلقاء شعره تهيأ لذلك واستعد له، وأظهر للناس أنه
يُريد إلقاء شعر، ومن أصول الإلقاء عندهم أن يُنشد شعره وهو قائم أو مشرق وأن يلبس
الوشي والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مشهر²⁰.

وقد أطلق الدكتور (مبارك المناعي) على تحضيرات الشعراء لعملية قول الشعر
بمصطلح (الإثارات السحرية)، وأعطى أمثلة لذلك من خلال ما رواه الأصفهاني في كتابه
الأغاني إذ ذكر طريقة (جرير) و (الفرزدق) في استحضار معاني قصائدهما: >> وكان جرير
إذا أراد إنشاد الشعر دعا بدهن فادّهن وكفّ رأسه ثم قصد مجلسهم ...، وكان الفرزدق
يطلع في حلة أفواف قد أرخى غدירתه ...، وقال (الحطيئة) (ت . 59 هـ) : والله لحسبك بي
(...) إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عوّيتُ في إثر القوافي عواء الفصيل
الصيادي ... >>²¹، وليس بعيد عن هذا ما نقله (ابن رشيق القيرواني) أن فتى من الأنصار
فاخر الفرزدق بأبيات (حسان بن ثابت) فتحدها أن يأتي بمثلها، فحاول (الفرزدق) أن ينتصر
على منافسه فتوجه صباحا إلى جبل بالمدينة، يقال له (ذياب) فنادى: >> أخاكم يا بني ليبي !
وعقل ناقته وتوسد ذراعها فانثالت عليه القوافي انثيالا، وجاء بقصيدة بكرة أعجزت الشعراء
وبهرتهم >>²².

وفي العصر العباسي كانت لبعض الشعراء طقوس خاصة لاستحضار الشعر ومن
ذلك (كثير عزة) : >> الذي سألوه عن فعله إذا استعصى عليه قول الشعر قال: أطوف في
القفار والرباع الخالية فيبسط عليّ أرضه وينزل عليّ أحسنه >>²³، وهناك من الشعراء من
استخدم بعض الوسائط التي تستخدم في السحر، ووظفها في الشعر ليقرب القول الشعري

من صفة السحر، ومن ذلك ذكر بعض الأسماء أو الأماكن والأشياء (الأسنان، الريق) وغيرها، وقد سُمي (المناعي) هذه الظاهرة بـ: (سحر العدوى) ذلك إذ قال: >> ومن هذا القبيل قيمة الاسم والظل والأسنان والريقوقلامه الظفروشاقة الشعر في السحر، إذ تمثل الشخص برُمته وتعتبر امتدادا له، وإدخالها في العمل السحري ينجمُ عنه تأثير بواسطتها في الشخص المسحور لا شك فيه لدى الساحر>>²⁴، ومن ذلك قول (كثير عزة) ذاكرا ما يتعلق بحبيبته جملة من الوسائط المادية، إذ قال:

خليلي هذا ربع عزة فاعـقلا قلو صيكما ثم ابـكيا حيثُ حَلَّتْ
ومسّا ثرابًا كان قد مسَّ جِلدها وبيتنا وظلاً حيثُ باتت وظلَّتْ>>²⁵

وقد استخدم الشعراء للتعبير عن جمال الشخص والتغزل به عبارات ترتبط بالسحر، ومن ذلك قول (بشار بن برد) متغزلاً بمحبوبته:

وكان تحت هاروت ينفث فيه
لسانها سحرًا>>²⁶

ويقول (ابن الرومي) متغزلاً:

وحديثها السحر الحلال لو أنّها لم تـجن قتلَ المسلم المتحرّز>>²⁷

ويمكن القول من خلال ما سبق أن العلاقة بين السحر والشعر ظلت قائمة على مرّ العصور سواء من الناحية الفكرية والمعتقدات وارتباط كليهما بالأساطير، أو حتى من خلال الإجراء والتطبيق، عن طرق اعتماد أدوات طقوس مخصوصة وهذا ما ثبت في العموم أن علاقتهما أصيلة ومتجذرة في طبيعتهما.

والأمر نفسه وجدناه لدى شعراء الأندلس مثل (ابن شهيد) الأندلسي في رسالته (التوابع والزوابع) وهي رسالة أدبية عرض من خلالها (ابن شهيد) القرطبي رحلة إلى عالم الجن، يلتقي فيها البطل بشياطين الشعراء فيحاورهم ويحاورونه وقد >>وضعها ابن شهيد للرد على خصومه وحساده ومنتقديه ولإظهار براعته وعلو مقامه في دولة الكتابة والقريض>>²⁸.

واستمر هذا التقارب بين ظاهرة الشعر والسحر إلى غاية عصرنا الحديث وهناك أمثلة كثيرة ذكر بعضها الدكتور (مبروك المناعي) في كتابه (الشعر والسحر)، منهم الشاعر الفرنسي (مالارمييه) (Mallarmé) و(طوماس غرين) (Thomas Green) والشعراء العرب

مثل (أدونيس ومحمود درويش وخزعل الماجدي) والتي أكدت أشعارهم >> أن آثار السّحر لا تنفك عالقة بالشعر مهما تجدد، وأن الشعر يأبى أن يختفي من الشعر أبدا >>²⁹.

4 - تجليات تلاقي الشعر والسحر في الدرس النقدي المغربي:

نبدأ بالجاحظ (159هـ. 255هـ) لأن أفكاره تعتبر عتبة مهمة لفهم طبيعة العلاقة بين الشعر والسحر إذ يمكن القول أن إشارة (الجاحظ 159هـ. 255هـ) في افتتاحية كتابه (البيان والتبيين) أن الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة، يحملان نوعا من الفتنة: فتنة القول وفتنة العمل، واستعاذته من هذه الفتنة، خطوة سبّاقة في تأكيد هذه العلاقة، إذ أشار إلى خطورتها في تحلية المعاني والدلالات في عيون القارئ والمتلقي، الذي يميل إلى تلك المعاني دون إدراك ووعي أشبه ما يحصل بعمل السحر، وفي ذلك يقول: >> اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول، كما نعوذ بك من العجب بما نُحسن، ونعوذُ من شرِّ السَّلاطة والهدْر... >>³⁰.

وقد أكد خطورة الأدب من خلال امتلاكه للقدرة الإجرائية، فقد دَعَم ذلك بأمثلة مثل >> قول الرسول صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحرا، وقول عمر بن عبد العزيز لرجل: أحسن في طلب حاجة وتأتي لها بكلام وجيز، ومنطق حسن: (هذا والله السحر الحلال)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا خلاية) >>³¹.

ويعرف (الجاحظ) البيان بقوله: >> والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه، ويحث عليه، بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم >>³².

وتحدث عن الأثر السحري للألفاظ والمعاني بقوله: >> ... بقدر ما زُينت وحسب ما زخرفت فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض، وصارت المعاني في معنى الجواري والقلبُ ضعيف وسلطان الهوى قوي، ومدخلُ خُدع الشيطان خفي >>³³.

وكل هذه الأقوال المتفرقة من (الجاحظ) يمكن اعتبارها تمهيد نقدي جاد لرصد العلاقة بين الشعر والسحر من حيث المفهوم والغاية والوسيلة وخطوة هامة استفاد منها النقاد من بعده.

وتعتبر آراء (عبد القاهر الجرجاني) (400هـ . 471هـ) تعقيدا للعلاقة (الشعر والسحر)، ومن ذلك حديثه عن أسرار البلاغة؛ إذ أكد أن لها جانب سحري تشبيها وتمثيلا واستعارة >> ويرى أنَّ للبلاغة سحر خاص يظهر خصوصا في النصّ الشعري، فكل ما يدخل في هذا النص من صور وأساليب يحقق هذا السّحر، إذ تؤثر ذلك في المتلقي بفعل التخيل وهذا ما يسمى البلاغة الساحرة >>³⁴.

كما أن (الجرجاني) اعتبر التشبيه الدقيق سحرا ومن ذلك قوله: >> اعلم أن ما يجعل السحر أكثر دقة هو أن يأتي فيه الهيئات مع الحركات، والهيئة تأتي من خلال الأوصاف كالشكل واللون، أما الحركات فتأتي مجردة لا يراد ولا يطلب غيرها، وإذا حصل هذا النوع من التشبيه وصل إلى مستوى السحر >>³⁵.

وذكر (الجرجاني) أن التشبيهات عند الشاعر إذا ما يلفت إلى حد اللطف والظرف ووصل به إلى مرحلة الاقتدار إلى مستوى سحر البيان، وذلك بقوله: >> فإن الشاعر قد يلجأ إلى تقديم المسرة في الغزل وينفث في عقد الوحشة، ويسلب المستمع للقول ويُلْهِيه عن الاهتمام بالشكل، وكذلك الفخر إذا أطال الشاعر القول، وذلك يعود للفطنة التي يمتلكها الشاعر فيوصل إلى سحر البيان ويبين جملة ما للبيان من القدرة والقدر >>³⁶.

وتحدث (الجرجاني) عن شروط التأليف في مختلف الأجناس الأدبية هو قدرة الشاعر على الجمع والمقاربة وتحقيق التشابه بين المختلف والمتمايز، وهذا الجمع دليل على حذق الشاعر وجودة تعبيره؛ >> لأن حصل بإزاء الاختلاف اتفاقا كأحسن ما يكون وأتمه، فبمجموع الأمرين شدة ائتلاف في شدة اختلاف، حلا وحسن وراق وفتن ... فيدل ذلك بما يكون فيه من الوفاق الحسن مع الخلاف البين على حذق الشاعر وعلى جودة طبعه وحدة خاطره، وعلو مصعده وبُعد غوصه ... وكشف تمام الكشف عن سُرر المعنى وسره بحسن البيان وسحره >>³⁷، فالجمع بين المختلفات والربط بينهما عده (الجرجاني) صورة من صور الإبداع التي قد تصل إلى مستوى السحر.

وكل هذه الأقوال أراد (الجرجاني) من خلالها أن يبين أن للبلغة سحرًا خاص يشبه تماما السحر من خلال التأثير في النفوس ومن خلال ما يستخدمه الشعراء من تعابير وصيغ تحقق مآربهم وغاياتهم.

أما (لسان الدين الخطيب) الذي خصص كتابًا لهذه العلاقة أسماه (السحر والشعر)، الذي رأى أن الشعر له أحوال متشابهة لأحوال السحر اللفظي فكلاهما يبرقان العقول والأفئدة والحواس، وفي ذلك يقول: >> ولما كان السحر قوة ظهرت للنفوس أفعالها، وكان الشعر يملك معادنها، ويغلب عاداتها، وينقل هينها ... >>³⁸، وقد ربط (ابن الخطيب) بين لغة الشعر القائمة على المجاز والتخييل والتصوير البلاغي، كما تحدث (ابن خلدون) في مقدمته عن السحر والشعر كل لوحده، وقد عرف السحر ورأى أن كليهما ينتميان إلى حقل الممارسة الذاتية التي لها استعدادات خاصة تؤثر في عناصر خارجية.

كما تكلم عن أن العرب كانت تزعم أن لكل شيطان يناجيه خبرة بالأمور العجائب ويحادثه ويلهمه الشعر، وأن للجن أنفسهم شعر، وفي ذلك يقول: >> ووجد سعد فتخلف عن البيعة، ولحق بالشام إلى أن هلك وقتله الجن، فيما يزعمون وينشدون من شعر الجن: نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ضربناه بسهم قلم تخطيط فؤاده <<³⁹.

بينما بين (حازم القرطاجني) في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، أن الشعر يرتبط بالخيال والتخيل من خلال تعريفه: >> الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يُحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه ... <<⁴⁰، ثم قرن ذلك بمصطلح الإغراب والتعجب بقوله: >> وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثيرها <<⁴¹، فالشعر الحق عنده هو ما يدعو النفس إلى التحرك والتأثر الناتج عن أثره، وأنّ العمل الإبداعي يتكون من عنصري التعجب والاستغراب، وذلك عائد حسبه إلى طبيعة النفوس تميل إلى ما هو غريب وعجيب >> لأن النفس إذا خيل لها في الشيء ما لم يكن معهودا من أمر معجب في مثله وجدت من استغراب ما خيل لها مما لم تعهده ... <<⁴².

ويمكن القول إن هذا الاغراب والتعجب ينتج حسب توظيف بعض الأفكار الواقعية بطريقة يبرع فيها الشاعر، تسبب الصدمة أو الدهشة للمتلقي أو توظيف عناصر متخيلة في عوالم خفية أو غيبية ميتافيزيقية، عناصر يتداخل فيها المنطق باللامنطق، والواقع باللاواقع، وكل هذا راجع طبعاً إلى اتساع خيال الشاعر وجرأته في ولوج عوالم خارج محيطه وبيئته. ولكن عليهم أن يتوخوا المبالغة فيقعوا في فخ التوهم والإيهام، >> ومن أخطر الأشياء على الشعراء أن يعمدوا إلى الشطط في خيالهم حتى كأنهم لا يعيشون في عالمنا، إنما يعيشون في عالم غيبي تفيض عليهم صور غامضة لا تفهم <<⁴³.

أما (العباس الأزدى المراكشي) المعروف بـ (ابن البناء) (654 هـ - 1265 م) فعلى الرغم من أنه تربى تربية صوفية (الزاوية الهزميرية) في مراكش، إلا أنه نزع >> نحو التصوف وإتيان الكرامات والمكاشفات، بمعنى آخر القدرة على التصرف في العالم الأرضي، وذلك بتسخير المادة لأهداف سحرية تنجيمية <<⁴⁴.

ويعتقد أن السبب الذي جعل (ابن البناء) يهتم بعلم التنجيم >> هو كون شيوخه الأوائل دفعوه إلى ذلك ونخص بالذكر (أبا عبد الله الهزميري) الذي دفعه إلى الاهتمام بعلم التنجيم مركزاً على البحث في علميته واطراد قوانينه <<⁴⁵، والذي يقرأ كتابه (الروض المربع في صناعة البديع) يجد نفسه أمام كم هائل من المعارف والعلوم، فقد ضم خلاله المنطق

والرياضيات وأصول الفقه وعلم الكلام وعلم التنجيم، ولم يكن كتابا خاصا بالنقد والبلاغة فقط >> إنما الذي لا مزية فيه، أن معظم الأنشطة العلمية في هذا العصر، كان منصرفا؛ أي الرياضيات من حساب وجبر وهندسة وفلك، والنابغون فيها كانوا أكثر من غيرهم، وكان على رأسهم (ابن البناء) العددي >>⁴⁶.

وقد عرف (ابن البناء) الشعر على أنه: >> تلك الأقوال المخيلة التي بنيت على سبيل المحاكاة ونتج عنها التوهم >>⁴⁷، ويؤكد أن الشعري على المحاكاة والتخييل، لا على الحقائق، فالشعر يرتبط عنده بالكذب والوهم والاستفزاز، يرتبط بالطيش لا التعقل وجنوح الخيال، ويقوم على توظيف عناصر مثل الطبيعة والقصص والخرافة وعوالم غيبية أخرى، ولكن دون غلو وأن يحاكي الشاعر ما هو موجود ويتخيل ما هو ممكن مع إضافة بعض العناصر الخيالية، >> لأن الشاعر يخترع أشياء غير موجودة من قبيل المحاكاة، وإذا انتفت المحاكاة بطل الشعر >>⁴⁸.

يدعو (ابن البناء المراكشي) إلى المبالغة وجنوح الخيال، وليس الغلو. وليس بعيد عن هذا المعنى ما أقره (السجلماسي)، إذ يرى أن الشعر يقوم على المجاز، وهو الذي يضمن للشاعر الخروج عن المؤلف ويعرفه قائلا: >> هو ذلك القول الذي يحمل الاستفزاز ومقدمات مخترعة وكاذبة تسير وفق المحاكاة، وكلما كانت تميل هذه الأقوال أكثر للكذب وأبعد عن الحقيقة كانت أكثر تخيلا واستفزازا >>⁴⁹، وهو يعتبر المجاز أقعد أنواع التخييل. ويجتمع (ابن البناء المراكشي) و (أبو محمد القاسم السجلماسي ت 704هـ) في خاصية الاستفزاز والإثارة المصاحبة لعملية التلقي وارتباطه بالخطاب الشعري، وهو ما يمكن أن تتضمنه القصيدة من خلال توظيف عوامل خفية وغيبية.

خاتمة:

ونخلص من كل ما سبق:

- أن الشعر والسحريمتان ثنائية فريدة في الدرس النقدي تستحق أن تحظى باهتمام النقاد.
- أن الشعر والسحريمتان جدا من ناحية المفهوم؛ إذ كلاهما يدلان على الإثارة والغربة والغموض.

- أن الشعر والسحر تاريخيا كان بينهما صلة وتداخل على مرّ العصور.
- أن الرؤية النقدية لظاهرة الشعر والسحر تشعبت في إطار الدرس النقدي، سواء عند النقاد المشاركة أو النقاد المغاربة، وتمحورت أغلب آرائهم في أن الشعر قد يكتسي دلالة سحرية،

وأن السحر قد يرتبط بمسألة الإبداع الشعري من خلال بعض الخصائص كالغربة والإيهار والتأثير.

الهوامش:

¹ ابن منظور محمد، د. ت، لسان العرب، تح عبد الله علي لكسير ومحمد أحمد حسب الله، دار المعارف، ج 4، القاهرة، ص 348.

² المرجع نفسه، مادة سحر، ص 348.

³ حديث نبوي، أخرجه البخاري محمد بن اسماعيل (الفتح 9 / 201 ط السلفية)، من حديث عمر.

⁴ القرآن الكريم، سورة الشعراء الآية 153، رواية ورش عن نافع.

⁵ الرازي أبو بكر، 1988، أحكام السحر والسحرة في القرآن والسنة، دار الكتب، ط 1، 10.

⁶ البيضاوي ناصر الدين، تفسير البيضاوي عند قوله تعالى: (يعلمون الناس السحر) الآية 102، من سورة البقرة، كشاف اصطلاحات الفنون 3 / 648، بيروت، شركة خياط بالتصوير عن طبعة الهند.

⁷ الرازي أبو بكر، د. ت، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للرازي، ط 2، ج 3، دار الكتب العلمية، طهران، ص 222.

⁸ ابن منظور محمد، د. ت، لسان العرب ومعجم مفردات القرآن، مادة شعر، ص 89.

⁹ الأصفهاني الراغب، 2000، المفردات في غريب القرآن، تح مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، دار الفكر الإسلامي الحديث، (مادة شعر).

¹⁰ ابن منظور محمد، لسان العرب، (مادة شعر).

¹¹ ابن جعفر قدامة، د. ت، نقد الشعر، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 62.

¹² ابن طباطبا العلوي، د. ت، عيار الشعر، تح محمد سلام زغلول، ط 3، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 41.

¹³ أفلاطون، محاورات أفلاطون، ترزكي نجيب محمود، مؤسسة هنداي، ص 78.

¹⁴ Walter Mushg: Geschiuhte der tragisclcm Literatur, Bern 1948, p 1.

¹⁵ ينظر بوسة كارل، 1989، تاريخ الأدب العالمي، 1 / 182، وروتمان كورت، تاريخ الأدب الألماني، تر سليمان عواد، مرشقيق البساط، منشورات عويدات، ص 7.

¹⁶ مرجليوتد، ص، 2006، أصول الشعر العربي، تر إبراهيم عوض، دار الفردوس، ص 16.

¹⁷ الشرقاوي عفت، 1979، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ص 127.

¹⁸ ينظر القرشي أبو زيد، د. ت، جمهرة أشعار العرب، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 58 - 59.

¹⁹ حديث نبوي، البخاري محمد بن اسماعيل رواه عبد الله بن عباس أخرجه محمد بن ناصر الألباني، 1998، صحيح الأدب المفرد، ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 669 حديث صحيح.

- ²⁰ المناعي مبروك، الشعر والسحر، مكتبة الأدب المغربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2004، ص 72.
- ²¹ الأصفهاني أبو فرج، الأغاني، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 11 / 139.
- ²² ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح معي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، 1934، ص 181.
- ²³ ابن قتيبة أبو محمد عبد الله، 1958، الشعر والشعراء، تح أحمد محمد شاكر، ط2، دار المعارف، 1958، ص 97.
- ²⁴ المناعيمبروك، الشعر والسحر، ص 34.
- ²⁵ فروخ عمر، 1969، تاريخ الأدب العربي، ج1، دار العلم الملائين، ص 618.
- ²⁶ ابن برد بشار، 1979، ديوان بشار بن برد، تح محمد الطاهر بن عاشور، ط1، ج4، الشركة التونسية للتوزيع، ص 70.
- ²⁷ ابن الرومي أبو الحسن علي، د. ت، ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار وغيره، ج 3، دار النشر الديوان، ص 1164.
- ²⁸ ضيفأحمد، 1924، بلاغة العرب في الأندلس، د. ط، مطبعة مصر، ص 48.
- ²⁹ المناعيمبروك، 2004، الشعر والسحر، ط1، مكتبة الأدب العربي، دار الغرب الإسلامي، ص 94.
- ³⁰ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: 1998، البيان والتبيين، تح عبد السلام هاروت، ط7، مكتبة الخانجي، ج1، القاهرة، ص 3.
- ³¹ المرجع نفسه: ص 255.
- ³² المرجع نفسه: ص 6.
- ³³ المرجع نفسه: ص 254.
- ³⁴ محوشمحسن، 2018، بلاغة السحر النقدي، مدخل نقدي، مجلة جيل الدراسات الحديثة، ع 37، ص 37.
- ³⁵ الجرجاني عبد القاهر، 1991، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، ط1، دار المدني، جدة، ص 153.
- ³⁶ المرجع نفسه: ص 285.
- ³⁷ المرجع نفسه: ص 153 - 154.
- ³⁸ الخطيب لسان الدين، 2006، كتاب السحر والشعر، تح المستشرق الألماني ج. م كونتنهيريير، مر محمد سعيد إسبر، ط1، البدايات للطباعة والنشر والتوزيع، ص 13.
- ³⁹ ابن خلدون عبد الرحمن، 2006، مقدمة، تح علي عبد الواحد وافي، ج3، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 373.
- ⁴⁰ القرطاجني حازم، 1986، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ص 71.
- ⁴¹ المرجع نفسه: ص 71.

- ⁴² المرجع نفسه: ص 96.
- ⁴³ منصور محمد علي عبد الرحمان، 1980، مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص 205.
- ⁴⁴ جبار أحمد وأبلاغ محمد، حياة ومؤلفات ابن البناء المراكشي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، ص 40.
- ⁴⁵ المرجع نفسه: ص 52.
- ⁴⁶ ابن البناء المراكشي، 1985، الروض المربع في صناعة البديع، تح رضوان بن شقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ص 81.
- ⁴⁷ المرجع نفسه: ص 81.
- ⁴⁸ المرجع نفسه: ص 135.
- ⁴⁹ السجلماسي أبو محمد القاسم: المتزج البديع في تحسين أساليب البديع، تح علال الغازي، ص 252.

المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- 1- ابن البناء المراكشي، 1985، الروض المربع في صناعة البديع، تح رضوان بن شقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء
- 2- ابن الرومي أبو الحسن علي، د . ت، ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار وغيره، ج 3، دار النشر الديوان.
- 3- ابن برد بشار، 1979، ديوان بشار بن برد، تح محمد الطاهر بن عاشور، ط1، ج4، الشركة التونسية للتوزيع.
- 4- ابن جعفر قدامة، د . ت، نقد الشعر، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 5- ابن خلدون عبد الرحمن، 2006، مقدمة، تح علي عبد الواحد وافي، ج3، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 6- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة
- 7- ابن طباطبا العلوي، د . ت، عيار الشعر، تح محمد سلام زغلول، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- 8- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله، 1958، الشعر والشعراء، تح أحمد محمد شاكر، ط2، دار المعارف، 1958.
- 9- ابن منظور محمد، د . ت، لسان العرب ومعجم مفردات القرآن، مادة شعر.
- 10- ابن منظور محمد، د . ت، لسان العرب، تح عبد الله علي لكسير ومحمد أحمد حسب الله، دار المعارف، ج4، القاهرة.
- 11- الأصفهاني أبو فرج، الأغاني، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 11 / 139.

- 12- الأصفهاني الراغب، 2000، المفردات في غريب القرآن، تح مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، دار الفكر الإسلامي الحديث، (مادة شعر).
- 13- البضاوي ناصر الدين، تفسير البضاوي عند قوله تعالى: (يعلمون الناس السحر) الآية 102، من سورة البقرة، كشاف اصطلاحات الفنون 3 / 648، بيروت، شركة خياط بالتصوير عن طبعة الهند.
- 14- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: 1998، البيان والتبيين، تح عبد السلام هاروت، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة ج1.
- 15- جبار أحمد وأبلاغ محمد، حياة ومؤلفات ابن البناء المراكشي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب.
- 16- الجرجاني عبد القاهر، 1991، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، ط1، دار المديني، جدة.
- 17- حديث نبوي، أخرجه البخاري محمد بن اسماعيل (الفتح 9 / 201 ط السلفية)، من حديث عمر.
- 18- حديث نبوي، البخاري محمد بن اسماعيل رواه عبد الله بن عباس أخرجه محمد بن ناصر الألباني، 1998، صحيح الأدب المفرد، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 669 حديث صحيح.
- 19- الخطيبلسان الدين، 2006، كتاب السحر والشعر، تح المستشرق الألماني ج . م كونتنهيبير، مر محمد سعيد إسبر، ط1، البدايات للطباعة والنشر والتوزيع.
- 20- الرازيأبو بكر، 1988، أحكام السحر والسحرة في القرآن والسنة، دار الكتب، ط1.
- 21- الرازيأبو بكر، د . ت، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للرازي، ط2، ج 3، دار الكتب العلمية، طهران.
- 22- السجلماسي أبو محمد القاسم: المنزع البديع في تحسين أساليب البديع، تح علال الغازي.
- 23- الشرقاوي عفت، 1979، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت.
- 24- ضيفأحمد، 1924، بلاغة العرب في الأندلس، د . ط، مطبعة مصر.
- 25- فروخ عمر، 1969، تاريخ الأدب العربي، ج1، دار العلم للملايين.
- 26- القرآن الكريم، سورة الشعراء الآية 153، رواية ورش عن نافع.
- 27- القرشي أبو زيد، د . ت، جمهرة أشعار العرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 28- القرطاجنيحازم، 1986، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- 29- المناعي مبروك، الشعر والسحر، مكتبة الأدب المغربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2004.
- 30- منصور محمد علي عبد الرحمان، 1980، مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

المترجمة:

- 1- أفلاطون، محاورات أفلاطون، تركزي نجيب محمود، مؤسسة هنداي.
- 2- بوسةكارل، 1989، تاريخ الأدب العالمي، 1 / 182، وروتمان كورت، تاريخ الأدب الألماني، ترسليمان عواد، مرشقيق البساط، منشورات عويدات.

3- مرجليوت د. ص، 2006، أصول الشعر العربي، تر إبراهيم عوض، دار الفردوس.

الأجنبية:

1- Walter Mushg :Geschichte der tragischen Literatur, Bern 1948, p 1

المقالات:

1- محوش محسن، 2018، بلاغة السحر النقدي، مدخل نقدي، مجلة جيل الدراسات الحديثة، ع 37.